**المحاضرة الثالثة**

**نشأة الأدب المغربي القديم**

**عوامل ظهور الأدب العربي ببلاد المغرب:**

لقد تفاعلت عوامل كثيرة أدت إلى ظهور الأدب العربي ببلاد المغرب، وأولها انتهاء الفتوحات بانتشار الدين الإسلامي، وانتشار اللغة العربية، استكمالا لنشر الدين، كونها لغة القرآن الكريم، دون نسيان عامل الرحلة بين المشرق والأندلس والمغرب، وما له من آثار على اللغة وعلى ثقافة الفرد ومعارفه.

**تطور الأدب المغربي وموضوعاته:**

لم يخالف المغاربة الشعراء العرب مذهبا ولا أسلوبا. فقد نسج المغاربة أشعارهم وفق طريقة العرب في النظم، لذلك يلاحظ المطلع على أدب المغاربة القدماء أنه متطابق أشد التطابق مع نظيره المشرقي. ولذلك أسبابه أهمها تأثر المغاربة بالمشارقة ثقافة وأدبا. فقد صار الشعر المغربي فرعا من فروع الشعر العربي عموما، ومرحلة من مراحله المهمة، بحكم الانتماء للغة واحدة، ولتراث واحد، وهو الشعر العربي. وهو السبب الذي جعل المغاربة يتخذون من شعراء المشرق نماذج يحتذى بها، وهذا الذي يفسر إطلاق أسماء شعراء مشارقة على الشعراء المغاربة واشتهارهم بها، ومن ذلك إطلاق تسمية أبي تمام على الشاعر أبي العباس الجراوي (ت609ه)، وخاصة بعد تأليفه حماسته (صفوة الأدب وديوان العرب)، وتسمية ميمون الخطابي المتنبي، لما بينهما من تقارب في الأسلوب وعناية بالحكم، ومثله أبي سعيد المريني الذي عرف باقتدائه بالمتنبي كما في قوله:

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب\*\*\*وأعجب من ذا الوصل والنجم أعجب

ويطمعني قلبي بوصل وإنني\*\*\*سأعلم حقا أن قلبي يكذب

حياتي وموتي في يديك وإنني \*\*\*أموت وأحيا حين ترضى وتغضب

وهو من قول المتنبي:

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب\*\*\*وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

أما تغلط الأيام بأن أرى\*\*\*بغيضا تناءى أو حبيبا تقرِّبُ؟

وقد مر الشعر المغربي بمراحل هي نفسها مراحل تعرّبه وانتشار اللغة العربية والإسلام به ثم الأدب العربي، وأولى تلك المراحل مرحلة المحاكاة، ثم مرحلة النضج والتطور.

ترتبط المرحلة الأولى بالفتوحات، وليس هناك شعر بين أيدي الدارسين لهذه المرحلة، والسبب أن المغرب كانت لا تزال في مرحلة استقبال الأدب والثقافة العربية، كما أن الغاية الأولى كانت نشر الدين في كل ربوع المغرب، وما قيل من شعر في هذه المرحلة فهو لعرب انتقلوا للبلاد لسبب أو لآخر وليس لمغاربة أصليين.

أما المرحلة الثانية، مرحلة النضج والتطور، فهي المرحلة التي عرفت ظهور أسماء شعراء وأدباء مغاربة، احتفظت لهم كتب التراجم والسير بآثار أدبية تعبر عن واقع الحياة المغربية، واجتمعت فيهم السمات التي تعكس أدب هذه البلاد صورا ولغة وأسلوبا، مع الحفاظ، طبعا، على طابع الشعر العربي. وفي هذه المرحلة دونت الدواوين ووضعت المصنفات من طرف المغاربة مضاهاة للمشارقة ومنافسة، وفيها كذلك ظهرت أغراض شعرية ومواضيع نثرية فريدة خاصة بالمغاربة دون غيرهم كشعر المولديات، ورثاء المدنن وشعر الطبيعة بمختلف ألوانه، والأزجال، وغيرها.

ومن شعراء هذه المرحلةبكر بن حماد التاهرتي، وقد أجاد في جل أغراض الشعر العربي وبرع في الرثاء والوصف، والشاعر أحمد ابن الحسين بن محمد المهدوي المسيلي، وأبو عبد الله بن قاضي ميلة، ومحمد بن زكريا القلعي، وابن رشيق القيرواني الأزدي، وغيرهم كثير.

**أغراض الشعر المغربي:**

**الشعر السياسي:**

وهو شعر مرتبط بنظام الحكم سواء كان دعوة لنظام أو في شكل موقف اتجاه تصرف سياسي. ويدخل في إطاره شعر الوعد والوعيد والنقائض والهجاء والمدح. وأقدم نماذجه قول أبي الخطار حسام بن ضرار بن سلامان الكلبي لهشام بن عبد الملك نحو سنة (110ه) في إطار العصبية القبلية ومنه:

أفأتم بني مروان قيسا دماءنا\*\*\*وفي الله-إن لم تنصفوا- حكم عدل

كأنكم لم تشهدوا مرج راهط\*\*\*ولم تعلموا من كان ثم له الفضل

وقول بكر بن حماد في حاكم جراوة وتلمسان أبو العيش عيسى بن إدريس:

سائل زواغة عن سيوف فعاله ورماحه في العارض المتهلل

وديار نفزة كيف داس حريمها والخيل تمرغ بالوشيج الدبل

وغشى مغيلة بالسيوف مذلة وسقى جرواة من نقيع الحنظل

ويمكن اعتبار شعر بكاء المدن والمماليك الزائلة ورثاء الإسلام وحكم المسلمين نوعا من الشعر السياسي.

**الغزل:**

يكاد يكون تراث البلاد الشعري لغاية القرن الرابع خاليا من هذا الغرض، والسبب حسب المؤرخين والدارسين، ومنهم ابن حوقل، خلو البلاد من مظاهر الفحش والعبث مقارنة بباقي البلاد العربية، وبسبب الدولة الفاطمية التي كانت في ظاهرها حريصة على الدين. ومن نماذجه القليلة قول إبراهيم بن الأغلب في القرن الثاني:

ما سرت ميلا ولا جاوزت مرحلة\*\*\*إلا وذكرك يثني دائما عنقي

ولا ذكرتك إلا بتّ مرتفعا\*\*\*أرعى النجوم كأن الموت معتنقي

ولكن منذ القرن الرابع للهجرة سار الغزل بنوعيه العفيف والماجن. ومنه قول أبو الطيب أحمد ابن الحسين بن محمد المهدوي المسيلي:

متى طلعت تلك الأهلة في الخمر ونابت لنا تلك العيون عن الخمر

ومن علّم الأعجاز تستعجز النقا وهذي الثنايا الزهر تسطو على الدر

شموس أبت إلا الشماس سجيةً وأقمار حسن في الهوى قمرت صبري

**الزهد:**

أسباب الزهد كثيرة وهي مرتبطة بظروف الحياة بالبلاد، مثل الحروب والصراعات، وكذلك التأثر بالصحابة رضي الله عنهم ممّن سكن بالمغرب، أو عاش بها، وكذلك التأثر بالدين الإسلامي، واتخاذه منهجا للحياة، إضافة إلى انتقال المذاهب الدينية للمغرب من المشرق، وهناك عامل مهمّ وهو أن أغلبية الدول التي حكمت المغرب قامت على أساس ديني، ومنها دولة المرابطين والموحدين. ومن أمثلته قول أبو الأحواض:

أبوا أن يرقدوا الليل\*\*\*فهم لله قوّام

أبوا أن يخدموا الدنيا\*\*\*فهم لله خدّامُ

وقول عمر بن خلف بن مكي مذكرا بالموت:

عجبا للموت يُنسي\*\*\*وهْو ما لابد منه

قل لمن يغفل عنه\*\*\*وهو لا يغفل عنه

كيف تنساه وقد جاءتك\*\*\*رسْل من لدنه

كما برع بكر بن حماد في الزهد ويبدو الغرض قريبا منه بحكم تدينه ومما قاله:

لقد جمحت نفسي فصدت وأعرضت وقد مرقت نفسي فطال مروقها

فيا أسفي من جنح ليل يقودها وضوء نهار لا يزال يسوقها

إلى مشهد لابد لي من شهوده ومن جرع للموت سوف أذوقها

ستأكلها الديدان في باطن الثرى ويذهب عليها طيبها وخلوقها

عموما: نظم المغاربة في جل أغراض الشعر العربي، وأضافوا أغراضا كانت وليدة البيئة والحياة بالمغرب. ومرّ الأدب المغربي بمراحل قريبة من مراحل تطوره السياسي الاجتماعي والفكري.

**المصادر والمراجع:**

1- ابن رشيق المسيلي: أنموذج الزمان في شعراء القيروان، جمع وتحقيق محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1411، 1991.

2- بشير خلدون: الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

3- الشيخ يوقربة: الشعر وقضاياه عند أبي علي الحسن بن رشيق المسيلي، د ط، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2005.

4- محمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي: الأدب المغربي، ط2، مكتبة المدرسة ودار الكتاب البناني، بيروت، لبنان، 1969.

5- مصطفى عبد الواحد: ابن شرف القيرواني الشاعر القيرواني، ط1، مطبعة دار التأليف،1402ه، 1982م.

6- عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط2، طنجة ربيع الثاني 1380ه، أكتوبر 1960.

7- عباس الجراري: الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، منشورات مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، ط2، 1978.